ثارو (القنطرة)

التى كان فيها سجن يوسف

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف: ٣٣].

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ [يوسف: ٣٦].

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩].

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

دخل يوسف السجن بعد الذى حدث بينه وبين امرأة عزيز مصر والنسوة اللاتى دعتهن إلى حفلها، وقطعن أيديهن.

لعل عزيز مصر وجد فى هذا السجن خلاصًا من المشكلة التى تؤرقه مع زوجته وفتاها.

فى السجن.. كان يوسف يهدى الحائرين فى ظلمات الشرك والكفر.

كان يوسف سجينًا مع سجينين آخرين، كان أحدهما ساقى الملك، وكان الآخر خبازًا فى قصر الملك، اتُّهما فى جريمة وضع سم للملك فى طعامه أو شرابه، وسجنهما الملك، وكانا يعلمان عن يوسف صدق تفسير الرؤيا وحكمته، كما يعرفان عنه وداعته وحبه للخير والصلاح بين الناس.

رأى كل منهما حلمًا.. عرضا على يوسف أن يفسر لهما حلميهما.

قال أحدهما:

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ ﴾ [يوسف: ٣٦].

وقال الآخر:

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦].

واضح من خلال هذه الأحداث أن يوسف كان قد بُعث نبيًا، لأنه كان قد تجاوز الثلاثين من عمره.

قبل أن يجيب يوسف على سؤالىْ السجينيْن، وقبل أن يفسر لكل منهما حلمه، رأى أن يدعوهما إلى الإيمان بالله، وأن ينبذا تلك الآلهة التى يعبدها المصريون، ويرمزون لها بأشكال وصور مثل: حورس، ست، آتوم، رع، أوزوريس سخمت [1].

سأل يوسف السجينين:

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾ [يوسف: ٣٩ - ٤٠].

ثم فسر يوسف للرجلين حلميهما، وقال لهما:

أما الساقى، فستظهر براءته، وسيعود إلى القصر، يسقى الملك، كما اعتاد، أما الخباز، فستثبت عليه الجريمة، وتنتهى حياته.

وصدقت نبوءة يوسف، فقد أُفرج عن الساقى، وأُعدم الخباز.

وحينما خرج الساقى من السجن بريئًا، قال له يوسف:

- اذكرنى عند ربك.

كانت هذه هى المرحلة الأولى ليوسف فى السجن.

---

(١) هذه أسماء لعدة آلهة كان المصريون القدماء يعبدونها، أما الإلهة سخمت فكان يعبدها الهكسوس (موسوعة تاريخ مصر).

أما المرحلة الثانية، فكانت بعد أن رأى الملك حلمًا عجيبًا. قال لـه من حولـه:

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ [يوسف: ٤٣].

عجز كهنة الملك ومستشاروه وذوو الرأى فى الدولة عن تفسير حلم الملك، اعتبروه أضغاث أحلام.

عند ذلك تذكر ساقى الملك يوسف، وصدق تحقيق رؤياه، وكان الشيطان قد أنساه ما عاهد عليه يوسف بعد خروجه من السجن.

لذلك أسرع الساقى، وأخبر الملك أن الذى يستطيع تفسير هذه الرؤيا هو يوسف الذى سجنه عزيز مصر.

لا داعى لتفصيل مزيد من الأحداث، فقد وضحت براءة يوسف واعترفت امرأة العزيز ونسوة المدينة بالحقيقة، أعطى يوسف للملك تفسيرًا واضحًا، أعلن فيه للملك عن حكمته ورجاحة عقله.

أخبر يوسف الملك أن السبع سنابل تشير إلى أن مصر سيفيض نيلها، ويكثر خيرها خلال سبع سنوات، بعدها تأتى سبع سنوات، تنخفض فيها مياه النيل، ويشح الماء، ويقل إنتاج المحاصيل.

وعلى الملك أن يختزن القمح بسنابله خلال السبع سنوات الأولى، ليطمئن على حياة المصريين، وعدم تعرضهم للجوع خلال السبع سنوات العجاف.

وفى النهاية خرج يوسف من السجن.

تلك هى الأحداث التى وقعت ليوسف فى سجن مدينة ثارو والتى انتهت بأن جعله الملك أمينًا على خزائن مصر، ليتولى خزن القمح فى سنوات الخير السبع، ويوزعه على المصريين فى السنوات السبع المجدبة.

**** زمن هذه الأحداث تاريخيًا :**

استمرارًا لمتابعة الزمن الذى حدثت فيه أحداث النسوة وامرأة العزيز، والتى قلنا إنها كانت حوالى سنة ١٦٦٥ ق. م.

ويقال أن يوسف استمر فى سجنه عشر سنوات، يمكن أن نذكر أن هذه الأحداث، كانت ما بين سنة ١٦٦٥ ق. م حتى ١٦٥٥ق. م.

**** موقع مدينة ثارو :**

تعرف الآن هذه المدينة باسم القنطرة، تقع عند مدخل مصر الشرقى، تخترقها الآن قناة السويس، وكانت تبعد عن العاصمة أفاريس بحوالى ٤٠ كم.

حديثًا اكتشف فيها قاعدة تمثال للصقر، عليه نقوش وصورة للفرعون سيتى الأول، تبعد القنطرة حاليًا عن الإسماعيلية بحوالى٣٠ كم، وعن القاهرة ٩٥ كم.

* * * * *

obeikandl.com

أرض جَاسَان: مصر

التى دخلها يعقوب عليه السلام وبنوه

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يوسف: ٩٩].

**** قصة أحداث المكان:**

عيَّن ملك مصر يوسف أمينًا على خزائنها، حتى يتحكم فى القمح الذى ستنتجه أرض مصر خلال السبع سنوات الخضر، ليختزنه، ليكون مصدرًا لإطعام المصريين خلال السنوات السبع العجاف.

ونجح يوسف فى مهمته.. استطاع أن يجنب الشعب المصرى مشقات الجوع خلال السبع السنوات التى أجدبت عنها الأرض.

فى تلك الفترة، كان الجدب قد وصل إلى أرض فلسطين (كنعان)، حيث يعيش نبى الله يعقوب وبنوه الذين هم أخوة يوسف.

بعث يعقوب أبناءه العشرة (ما عدا صغيرهم بنيامين) ليشتروا قمحًا من مصر، والتقوا بيوسف، فعرفهم، ولكنهم لم يعرفوه، فقد تغيرت صورته وملابسه ولغته، وكان يوسف كريمًا مع إخوته، أعطاهم ما أرادوا وردَّ إليهم بضاعتهم.. وطلب منهم أن يحضروا معهم فى المرة الثانية أخاهم الصغير، ليزيد لهم فى بضاعتهم كيلاً، وعادوا إلى بلادهم فى فلسطين.

طلب إخوة يوسف من أبيهم يعقوب أن يرسل معهم أخاهم الصغير بنيامين، ولكن يعقوب رفض، خوفًا عليه من أن يناله ما نال يوسف، حتى وافقهم أخيرًا، بعد أن تعهدوا له بالحفاظ على سلامته.

جاء أبناء يعقوب إلى مصر، ومعهم بنيامين شقيق يوسف، وأحبّهم إليه، فأجزل يوسف لهم العطاء.

بحيلة استطاع يوسف أن يتهم إخوته بالسرقة.. بعد أن وضع صواع الملك فى رحل أحدهم.

ولما فتش رجال الملك إخوة يوسف، وجدوا صواع الملك فى رحل بنيامين..

هكذا أصبح بنيامين السارق لصواع الملك، فحُق عليه أن يكون عبدًا للملك، كانت هذه عقوبة السارق.

أخذ رجال الملك بنيامين إلى يوسف، باعتباره السارق.

قابل يوسف أخاه بعطف وحنان، وأخبره بحقيقته، وأنه هو شقيقه الذى ألقى به إخوته فى الجب، وادعوا لأبيهم أن الذئب قد أكله.

سعد بنيامين فى رحاب أخيه يوسف.

تمضى الأحداث بعد ذلك حيث حاول أكبر أبناء يعقوب أن يسترد أخاه بنيامين، مقابل أن يكون أحد الأخوة فداءً لـه، وذلك لاعتزاز أبيه به، لكن يوسف رفض هذه المقايضة، وأصر على أخذ بنيامين.

واكتشف الإخوة بعد ذلك الحقيقة.. إن يوسف الذى ألقوه فى الجب هو الذى أصبح أمينًا على خزائن مصر.

وحين سأل يوسف إخوته عن حال أبيهم، أخبروه أنه ما يزال يعيش على ذكرى ولده يوسف، لا يفتر لسانه عن ذكره، وأن بصره قد فقد من شدة الحزن عليه.

عند ذلك.. دفع يوسف قميصه إلى إخوته، وطلب منهم أن يعودوا إلى فلسطين، ليأتوا بأبيهم وأهله.

وهكذا.. حضر يعقوب وأهله إلى مصر [1] مرحبًا بهم يوسف، وقال لهم:

---

(١) مصر ذكرت فى القرآن الكريم أربع مرات فى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس: ٨٧].

﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

**** زمن هذه الأحداث:**

بمتابعة الأحداث التى عاشها يوسف فى مصر منذ مجيئه إليها سنة ١٦٩٠ ق. م، ومعروف أن بنى إسرائيل (يعقوب وبنوه) دخلوا مصر سنة ١٦٣٥ ق. م.

يمكن القول إن أحداث مجىء أبناء يعقوب إلى مصر منذ المرة الأولى للحصول على قمح، وأن لقاءهم مع يوسف دون أن يعرفوه، تلك الأحداث التى انتهت بحضور يعقوب وأهله إلى مصر فى المرة الثانية، كان ذلك كله خلال فترة سنوات الجدب التى أصابت مصر من سنة ١٦٤٠ ق. م حتى سنة ١٦٣٥ ق. م والتى انتهت بدخول بنى إسرائيل مصر.

**** موقع المكان:**

لا نعنى المكان هنا موقع مصر الجغرافى، فحدود مصر معروف أنها تقع فى الجنوب الشرقى لقارة إفريقيا، وأنها تطل على البحرين الأحمر والأبيض المتوسط، وغيرها من المعلومات التى يعرفها كل مصرى.

لكننا نريد هنا أن نحدد موقع المكان من مصر الذى دخله بنو إسرائيل بعد أن لقيهم يوسف ورجاله عند مكان عرف بعد ذلك باسم العريش..

استكمالاً لأحداث قصة يوسف، كما جاءت فى العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ كَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن﴾ [يوسف: ٩٩].

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١].

أما كلمة مصر فى قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]، فهى لا تعنى مصر المعروفة، ولكنها تعنى ما يشبه الولايات.. هى مصر التى جمعها أمصار.. لأن مصر ممنوعة من الصرف، وهى فى هذه الآية مصروفة. (المؤلف).

٤٧ والذى جاء فيه:

فأتى يوسف وأخبر فرعون مصر، وقال: إنى وإخوتى وغنمهم وبقرهم كلهم جاءوا إلى مصر، فقال فرعون ليوسف، أرض مصر قدامك، فى أفضل أرض اسكن أباك وإخوتك؛ ليسكنوا فى أرض جاسان، وبارك يعقوب فرعون. (الفقرات ١ - ١٢)

وهكذا سكن بنو إسرائيل فى أرض جاسان، وانتقلوا من أرض كنعان إلى قطعة من أرض مصر.

تقع أرض جاسان فى أقصى شرق الدلتا فى منطقة تقع شمالها بحيرة المنزلة، وامتدادها فى الجنوب نحو الصحراء الشرقية بمصر، مكانها الآن يضم منطقة مراكز محافظة الشرقية: بلبيس، وفاقوس.

وهكذا شاء الله ليعقوب وبنيه أن يدخلوا مصر، ليكون لهم دور كبير فى الأحداث التى وقعت بعد ذلك فى عهد نبى الله موسى، كما سيتضح.

* * * * *

تبـوك

أصحـــاب الأيكـــة

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحجر: ٧٨].

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٦].

﴿وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [ق: ١٢ - ١٤].

**** تمهيـد :**

الأيكة: معناها الغيطة الملتفة أشجارها وأغصانها وفروعها.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

كان أهل هذه المنطقة سيئى السلوك والأخلاق، مثل قوم مدين، وكانوا يطّففون الكيل والميزان، يزيدون فيه إذا اكتالوا لأنفسهم، وينقصونه إذا اكتالوا لغيرهم.

كانوا يكفرون بالله، ويعبدون الأيكة، يسجدون لها، ويلتفون حولها، يدعونها إلهًا لهم.

بعد أن انتهى نبى الله شعيب من مهمته مع قوم مدين.. بعثه الله رسولاً إلى أهل الأيكة، قال لهم:

﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٨٣].

لكن أصحاب الأيكة رفضوا طاعة شعيب، واستمروا على كفرهم وضلالهم وفسادهم، وقالوا:

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن

كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ [الشعراء: ١٨٦ - ١٨٧].

ورغم بلاغة شعيب ورجاحة عقله وقوة حجته [1]، إلا أن أصحاب الأيكة عصوه، فاستحقوا عقاب الله لهم.

أنزل الله على أصحاب الأيكة بابًا من أبواب جهنم.. بردًا قارسًا، وحرًا لافحًا، فأخذ بأنفاسهم، ولجئوا إلى دورهم، فلم تحمهم من الحر والبرد، ثم بعث الله إليهم سحابة، فتنادوا مع بعضهم، ليحتموا فى ظلها، فألهب الله السحابة عليهم نارًا، ورجفت الأرض من تحتهم، فاحترقوا جميعًا فأصبحوا فى دارهم جاثمين.

**** زمن هذه الأحداث:**

قال الرواة: إن نبى الله شعيب كان عصره فى الفترة من سنة ١٦٠٠ق. م إلى سنة ١٤٩٠ق. م، وكانت بعثته سنة ١٥٥٠ق. م.

ومعنى هذا أن هذه الأحداث وقعت حوالى من سنة ١٥١٠ق. م إلى سنة ١٤٩٠ق. م تقريبًا.

أى بعد الفترة التى وقعت فيها أحداث أهل مدين.

ونحن نتحدث عن تبوك، لا ننسى ما حدث فيها خلال العصر الإسلامى.

علم الرسول أن الرومان يتجهزون بجيش لمهاجمة المدينة المنورة، وضرب المسلمين فى عقر دارهم.

فى هذا العام.. كان الجو شديد الحرارة، أجدبت الأرض، وتساقطت الثمار عن أشجارها، وضنّت السماء بأمطارها. وبخلت الأرض، فلم تنتج كلأ.

مع ذلك.. جهز الرسول جيشًا، عرف بجيش العسرة، (للعسرة فى هذا العام).

---

(١) شعيب: هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين (مديان) بن إبراهيم عليه السلام من زوجته قنطورة التى تزوجها بعد موت سارة وهاجر، وكان يعرف بأنه خطيب الأنبياء، لبلاغته وفصاحته وقوة حجته، كما عرف بكثرة صلاته وتقواه.

تبارى المسلمون فى التبرع لتكوين هذا الجيش، وابتعد المنافقون.

كان جيشًا قوامه ٣٠.٠٠٠ مقاتل وعشرة آلاف من الخيول ومثلها من الإبل.

تحرك جيش المسلمين من المدينة، يتقدمهم رسول الله ﷺ وكبار الصحابة فى رجب سنة ٩هـ فى طريقهم إلى تبوك.

المسافة بين المدينة المنورة وتبوك حوالى ٦٨٠ كم. قطعها المسلمون فى ظروف شاقة من الحر والعطش، حتى كانوا ينحرون الإبل؛ ليشربوا ما فى بطونها من ماء!! وكان الرجلان أو الثلاثة يتناوبون ركوب بعير واحد.

وصل جيش المسلمين إلى تبوك بعد أكثر من أسبوعين، لكنهم فوجئوا بأن جيش الرومان قد ابتعد.. أحس جنود الرومان أنهم لا طاقة بهم على مواجهة جيش المسلمين، فهربوا.

وبقى الرسول بتبوك بضعة عشر يومًا، عاد بعدها المسلمون إلى المدينة، بعد أن تعاهد الرسول مع كثير من القبائل على السلام.. منها قبائل إيلة فى نهاية خليج العقبة، وتعهدوا بدفع الجزية.

لا شك أن جيش تبوك كان بداية مرحلة هامة فى حياة الرسول.. مهد الطريق بعد ذلك للمسلمين إلى فتح بلاد الشام فى سنوات تالية.

من أجل هذا، فالتاريخ لا ينسى تبوك أيام الرسول.

**** موقع تبوك:**

تكاد تبوك تنتصف المسافة من المدينة المنورة ومدخل بلاد الشام.

تقع تبوك فى الشمال الغربى للملكة العربية السعودية، فى منطقة مساحتها أكثر من عشرة آلاف كم^{2}.

حينما دخل الرسول تبوك، بنى فيها مسجدًا من الطوب اللبن، وسقفه بجذوع النخيل. صورة مما كان عليه مسجد الرسول فى المدينة المنورة.

بعد ذلك.. أعيد تشييد هذا المسجد بالحجارة.

اكتشف بتبوك قلعة، يرجع تاريخها إلى حوالى سنة ٢٠٠٠ق. م.

على مقربة من تبوك، تقع بلاد مدين التى سنتحدث عنها فى قصة موسى عليه السلام.

* * * * *

obeikandl.com

اليـــم

الذى ألْقَت فيه أمُّ موسى ابنها

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧].

**** الأحداث التى وقعت في هذا المكان :**

فى حلم رآه فرعون مصر أن ناراً مشتعلة جاءت من جهة الشرق، أحرقت معظم دور مصر، ما عدا دور العبرانيين.. بنى إسرائيل!!

عرض فرعون حلمه على كهنة دينه، فقالوا لـه، تفسيراً لحلمه:

- هذا يعنى أنه سيخرج من بنى إسرائيل واحد منهم، سيكون سبباً فى هلاك ملكك، وأن عليه أن يقضى على حياة هؤلاء العبرانيين الدخلاء عن مصر، ليأمن شر عداوتهم للمصريين:

لذلك؛ قرر فرعون مصر أن ينتقم من العبرانيين، وكان يعلم عنهم سوء سلوك أجدادهم وخيانتهم، وأنهم كانوا يتآمرون مع الهكسوس أعدائهم.

أمر فرعون رجاله أن يجوبوا شوارع ودور أرض جاسان، حيث يعيش العبرانيون يذبحون الأطفال، ويبقروا بطون الحاملات من النساء، ليخرجوا أجنتهم على نصال سيوفهم.

خلال تلك الفترة، وضعت يوكابد طفلها . لم تسمه باسم، ولكنه عرف بعد ذلك باسم موسى.

كم كانت يوكابد حزينة، يملؤها الخوف والفزع على ابنها، كلما طرق بابها طارق، تُحدِّثها نفسها أنهم رجال فرعون حتى أنها ذات مرة، لتخفى ابنها، ألقت به فى آتون لم تهدأ بصيص ناره خوفاً عليه من سكاكين رجال فرعون، ولكن الله كتب لابنها السلامة.

فبينما يوكابد ذات يوم في أحزانها ومخاوفها.. سمعت هاتفاً، يهتف بها:

﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧].

كان زوجها عمران قد ساقه رجال فرعون، مثل غيره من رجال بنى إسرائيل، ليعبِّدوا الطرق، أو يحفروا الترع، أو يقيموا الجسور..

فى سرية تامة.. اتخذت يوكابد طريقها إلى أحد النجَّارين، وطلبت منه أن يصنع لها صندوقاً محكماً، لا تتسرب المياه بداخله، دون أن تخبره بحقيقة ما أرادت.

عادت يوكابد إلى دارها، فأرضعت طفلها، ووضعته في الصندوق، وحملته على رأسها، وسارت حتى إذا بلغت مكاناً ألقت بالصندوق في اليم، كما أمرها الهاتف، وقالت لابنتها:

- قصيه.. تابعيه، واعرفى أين يرسو.

وعادت يوكابد إلى دارها.

كان صباح يوم ندى، حين خرجت جوارى سيدة فرعون ومعهن ابنتها يلعبن ويمرحن في مياه النيل.

كُن سعيدات، تعلو وجوههن ابتسامة الرضا، والفرحة تملأ صدورهن.

كان قصر فرعون على أحد فروع النيل القديمة في الدلتا، والذى كان معروفاً باسم الفرع البالوزى، حيث تقع العاصمة برر عمسيس عاصمة الرعامسة الشمالية، وحيث يوجد قصر فرعون، تجرى من تحته مياه النهر.

رسا الصندوق الذى كان به الطفل بجوار إحدى أشجار الصفصاف على شاطئ النيل.

فى لفتة سريعة من الجوارى.. رأين الصندوق بجانب الشجرة التى تدلت فروعها كأنما تستحم في مياه النهر.

أسرعت الجوارى... تتقدمهن الأميرة إلى الملكة ، وأخبرنها بما حدث...

ما كادت الملكة امرأة فرعون تفتح الصندوق، حتى رأت فيه طفلاً جميلاً، يمص إصْبعيه، دليلاً على شدة جوعه، كان وجه الطفل يشرق بهاء ونوراً، يوحى لمن يراه بالرغبة في العطف عليه.

أمرت الملكة جوارى القصر أن يأتين بمرضعة للطفل، فأتين لها بكثير من المرضعات، ولكن الطفل رفض أن يرتضع من إحداهن.

كانت أخت الطفل تراقب الموقف، فقالت للملكة:

- هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم، برضاعته ورعايته؟

تحمست الملكة لفكرة الفتاة، وطلبت منها أن تفعل.

عادت الفتاة أخت الطفل إلى أمها يوكابد، وأخبرتها بما حدث لأخيها، وأن عليها أن تصحبها إلى قصر فرعون، لترضع ابنها الطفل.

وسعدت الملكة وابنتها والجوارى حينما ألقمت المرأة ثديها للطفل، فارتضع منها.

وما كان الجميع يدرون أن المرأة كانت أكثر منهن سعادة، وهى ترضع وليدها، دون أن يعرفن جميعهن أنها أمه، فيالسعادة يوكابد بعودة ابنها إلى أحضانها ولهفتها عليه ولأن الطفل وجد بين الماء والشجر، فقد أسمته الملكة (موشى).

**** الزمن التاريخى لأحداث مولد موسى وإلقائه في اليم :**

إذا علمنا الظروف التاريخية التى ولد فيها موسى عليه السلام، ندرك عدة حقائق منها:

١ - أن مولد موسى عليه السلام كان في عهد أحد فراعنة مصر، يؤكد هذه الحقيقة أن كثيراً من الآيات القرآنية في قصة موسى كانت تذكر كلمة فرعون، وليست الملك، كما في عهد يوسف. من هذه الآيات الكريمة:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس: ٨٨].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [هود: ٩٦ - ٩٧].

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٥ - ٤٦].

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠ - ١١].

٢ - ومن دراسة وقائع التاريخ التى تقول بأن بنى إسرائيل دخلوا مصر حوالى سنة ١٦٣٠ق. م، وخرجوا منها هاربين مع موسى حوالى ١٢٠٥ ق. م، ومن متابعة الأحداث، تقول حقائق التاريخ: إن فرعون مولد موسى هو رمسيس الثانى أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة من ملوك الدولة الحديثة.. إحدى دول تاريخ مصر القديمة.

ومعروف أن رمسيس الثانى حكم مصر من سنة ١٣٠١ق. م حتى سنة ١٢٢٤ق. م أى حوالى ٧٧ سنة، وأن موسى كان مولده سنة ١٢٥٠ ق. م، أى أن مولده كان في عهد رمسيس الثانى فرعون مصر في ذلك الوقت.

وتذكر صفحات التاريخ أن رمسيس الثانى كانت إحدى زوجاته اسمها (إست نفرة)، وهى التى استقبلت الصندوق الذى كان فيه موسى من الجوارى، وهى التى رعته، وتبنّته وحافظت عليه، واتبعت دين موسى بعد ذلك، آمنت بالله رباً، وبموسى رسولاً من عنده.

ولعل هذا الاسم الفرعونى إست نفرة حُرف بعد ذلك إلى العربية باسم (آسية).

وإذا كان القرآن الكريم لم يذكر اسم امرأة فرعون كما في قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم: ١١].

فإن الرسول ﷺ ذكر اسم امرأة فرعون صراحة في عدة أحاديث باسم (آسية)، منها قوله ﷺ:

((خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد))[1].

نخرج من كل هذا بأن الزمن الذى ألقت فيه أم موسى بابنها في اليم، كان زمن فرعون مصر (رمسيس الثانى) حوالى ١٢٥٥ق. م.

**** موقع المكان:**

اليم قد يعنى النهر أو البحر، وهو عبارة عن مساحة واسعة من المياه.

من دراسة الخريطة الجغرافية لمصر فى تلك الفترة، وخاصة منطقة الدلتا، ندرك ما يأتى:

١ - أن عدد فروع النيل في مصر في تلك الفترة، كانت ستة فروع، وليست اثنان كما هو الآن.

٢ - بعض هذه الفروع كانت تقع فى شرق الدلتا، وتصب في بحيرة المنزلة. من أهم هذه الفروع كان الفرع البالوزى، الذى كانت تقع عليه مدينة برر عمسيس[2] العاصمة الشمالية لدولة الرعامسة.

في قصر يقع على هذا الفرع، كان قصر فرعون، قصر تجرى من تحته مياه النهر، وفي هذا القصر كانت تعيش الملكة إست نفرة التى عرفت باسم (آسية).

في شرق الدلتا وفى منطقة جاسان (جزء من محافظة الشرقية)، كان يسكن العبرانيون الذين كانوا يعرفوا ببنى إسرائيل (أولاد يعقوب)، تلك المنطقة التى أسكنهم فيها يوسف بعد مقدم أبيه وأهله إلى مصر.

أى أن يوكابد حين ألقت بابنها في اليم، كما هتف بها الهاتف، ألقت به في مكان غير بعيد عن المنطقة التى يسكن فيها بنو إسرائيل.

---

(١) رواه أنس بن مالك (البداية والنهاية ج١، ص ٤٥٠).

(٢) مكانها الآن قرية قنتير.. إحدى قرى مركز محافظة الشرقية.

ولأن جوارى قصر فرعون هن اللاتى انتشلنه، فمعنى هذا أن الصندوق ألقى في مكان يقع جنوب قصر فرعون، حتى جرفه التيار معه في طريقه نحو الشمال إلى القصر.

إذن.. أم موسى ألقت بابنها في منطقة تقع جنوب العاصمة برر عمسيس الواقعة على النهر، الفرع الباليوزى..

ومما يُرْوَى أن بعض الرواة ذكروا أن اسم موسى الذى أسمته به آسية كان يعنى موشى أى ابن النيل[1].

* * * * *

(١) مصر في القرآن والسنة ص ١٠٨.

obeikandl.com

برر عمسيس

المدينة التى قتل فيها موسى الرجل المصرى

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص: ١٥].

**** الأحداث التى وقعت في المدينة :**

ذات يوم..

كان موسى يسير في شوارع المدينة (المدينة التى نحن بصدد الحديث عنها) فرأى رجلين.. أحدهما عبرانى من شيعته من بنى إسرائيل يتشاجر مع رجل مصرى، قال بعض الرواة: إنه كان أحد رجال القصر الفرعونى، وأنه كان يعمل خبازاً في القصر.

كان الشجار بين الرجلين.. قائماً، لأن المصرى كان معه حمل ثقيل، يطلب من العبرانى أن يحمله عنه، ليوصله إلى القصر الفرعونى.. صورة من صور السخرة التى كثيراً ما كانت تقع للعبرانيين في تلك الفترة من التاريخ.

رأى موسى هذه المشاجرة بين الرجلين، ولأن موسى عبرانى من بنى إسرائيل، فقد كان عليه أن يقف بجوار بنى جلدته.. فناصره على المصرى. صحيح أن موسى كان ربيباً لفرعون مصر، وهو الذى ربَّته امرأة فرعون آسية (إست نفرة) وابنتها. رعيتاه طفلاً، فشاباً، ولكن موسى كان يجد فى نفسه حباً وهوى لقومه من بنى إسرائيل، بعد أن أدرك أنه واحد منهم.

لاشك أن موسى حاول الإصلاح بين المتنازعيْن، لكنه وجد أن كلا منهما مصرٌ على موقفه: المصرى يصر على أن يحمل العبرانى عنه الحِمْل الذى يحمله، والعبرانى مصُر على ألا يفعل ما يريده المصرى.

وأحس موسى أن العبرانى على حق، وأن المصرى على خطأ، فضرب المصرىَ

بقبضة يده ضربة ألقته قتيلاً، وابتعد عنه، بينما هرب العبرانى.

فلما كان اليوم التالى، أو لعله كان بعد عدة أيام، رأى موسى نفس العبرانى يتشاجر مع مصرى، لعل هذه العبرانى استهوته الفكرة، وأسعده موقف موسى منه ومن قومه بالأمس.

استغاث العبرانى بموسى، ولكن موسى هذه المرة كان يحس بخطئه فيما فعله بالأمس، وقال إنك لغوى مبين وذهب ليبطش بالذى هو عدو لهما فظن العبرانى أن موسى غضب منه.فاستشاط العبرانى غضباً، وبدت سوء نواياه، فقال لموسى:

﴿ فَلَمَّآ أَن أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩ ﴾ [القصص: ١٩].

هكذا قلب العبرانى لموسى وجه سوء النية، أعلن للملأ حوله، أن موسى هو الذى قتل المصرى بالأمس.

علم فرعون بحقيقة ما فعله موسى، ولا شك أن فرعون لم يكن يحب موسى، لذلك أمر فرعون بالقبض على موسى، ومحاكمته ومعاقبته.

لا ندرى هذا الفرعون هل كان رمسيس أم غيره، فستتضح الحقيقة بعد ذلك.

هذه هى الأحداث التى وقعت في المدينة التى نحن بصدد الحديث عنها.

**** الزمن التاريخى لهذه الفترة.**

لم يذكر القرآن الكريم ، ولا العهد القديم من هو الفرعون الذى كان يحكم مصر أثناء هذه الفترة، ولكن علينا أن ندرك الحقائق التالية:

١ - انتهى حكم رمسيس الثانى سنة ١٢٢٤ق. م، وتولى بعده ابنه مرنبتاح التى كانت أمه إست نفرة (آسية) وزوجته هى الأميرة إيست نفرة ابنة آسيا، فقد تزوج مرنبتاح أخته، وكان هذا أمراً عادياً.

ومعنى هذا أنه إذا اعتبرنا أن رمسيس الثانى أباً أو جداً لموسى، فيمكن أن نعتبر

مرنبتاح خالاً أو أباً لموسى. بحكم ربوبية موسى في قصر فرعون.

وإذا نظرنا إلى منطوق الآية (١٥) من سورة القصص، والتى جاء فيها:

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [القصص: ١٥].

فإن هذا كان يعنى أنه حينما وقعت هذه الحادثة، كانت المدينة شبه خالية من سكانها؛ لانشغال الناس بأمر آخر خارج مدينتهم.

ولعل هذا الموقف دفع بعض الدارسين إلى أن يربطوا بين هذه الحادثة، وبين وفاة رمسيس الثانى في ذلك اليوم من عام ١٢٢٤ق. م، وأن انصراف الناس عن مدينتهم في هذا اليوم، كان لتوديعهم جثمان الفرعون رمسيس الثانى إلى مستقره الأخير في عاصمته الدينية طيبة والتى وجدوا فيها جثمانه.

ويمكن أن نسلم بهذه الحقيقة، إذا أدركنا أنه سبق أن ذكرنا أن حكم رمسيس الثانى كان فى الفترة من ١٣٠١ق. م حتى ١٢٢٤ق. م، وأن مولد موسى كان سنة ١٢٥٠ق. م.

أى أن موسى في هذا اليوم كان عمره ٢٦ سنة.. شاباً قوياً.

مع التجاوز في التاريخ عن خمس أو عشر سنوات زيادة أو نقصاً، كما يقول علماء التاريخ.

** موقع مكان المدينة الذى وقعت فيه الأحداث:

من الواجب علينا أن نستبعد أن تكون المدينة هى طيبة، فهى بعيدة جداً عن منطقة سكن العبرانيين في أرض جاسان شرق الدلتا، وطيبة قصرت أهميتها على الناحية الدينية، في ذلك الوقت، ولم تعد لها صفة العاصمة السياسية التى انتقلت إلى الشمال.

وقال البعض إنها مدينة منف، ولكن الحقيقة أن منف لم تكن لها أهمية فى تلك الفترة، كما أنها هى الأخرى بعيدة عن موطن العبرانيين فى جاسان.

أقرب مدينة إلى هذه الأحداث هى مدينة برر عمسيس التى كانت العاصمة السياسية

الشمالية لدولة الرعامسة، وهى إحدى المدن التى سَخَّر فيها الفراعنة كثيراً من العبرانيين في بنائها، فعلى مقربة منها انتشل جوارى قصر فرعون موسى، فيها تربى موسى في قصر فرعون فى رعاية الملكة إست نفرة (آسية) وعلى مقربة منها، كان سكن العبرانيين في أرض جاسان حيث أنزلهم فيها يوسف.

هذه المدينة مكانها الآن قرية قنتير مركز فاقوس بمحافظة الشرقية.

* * * * *

obeikandl.com

ماء مدين

حيث التقى موسى مع ابنتى شيخ كبير

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القصص: ٢٣].

﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [طه: ٤٠].

**** قصة الأحداث التى وقعت في هذا المكان:**

بعد أن قتل موسى المصرىّ.. أدرك أن جند فرعون ورجاله يترصّدون له، ليقبضوا عليه، فنصحه رجل مخلص أن يهرب، ودلّه على الطريق الذى يسلكه.. بعيداً عن تجمعات بعض القبائل التى تعمل بالزراعة أو الرعى، أو تجمُّعات عمال المناجم.

لم يكن موسى قد استعد بالزاد، أو هيّأ نفسه معنوياً لهذه الرحلة التى كانت أشبه بمغامرة غير محسوب نتائجها، إلا أنه كان معتمداً على الله.

مضى موسى في طريقه خلال جنوب شبه جزيرة سيناء وشرقها، يجتاز الروابى، ويهبط الأودية، ويتسلق بعض مرتفعاتها التى كانت تعترض طريقه.. يقتات أوراق الشجر، يمتص عيدان الحشائش، يشرب من قيعان الوديان ماء كدراً.. حتى بلغ إلى مكان ما شرق خليج العقبة.

هدأ موسى يستظل بظل شجرة باسقة بعد طول صراع مع الخوف، ومشقة الطريق، ولسعات الجوع والظمأ.. جلس موسى فى ظل الشجرة، يستروح عندها نسمات تريح خاطره.

عن قرب.. رأى موسى جمعاً كبيراً من الرعاة، يصطحبون أغنامهم، يتزاحمون

على حوض صخرى من الماء، كل واحد يريد أن يقترب من الحوض؛ ليسقى أغنامه.

على غير بعيد.. رأى موسى فتاتين فى مقتبل شبابهما، تذودان بأغنامهما عن زحمة الرعاة.

اقترب موسى من الفتاتين، وسألهما:

- ما خطبكما؟

فى استحياء.. قالت الفتاتان:

﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [القصص: ٢٣].

فى استعطاف.. أنطق الله لسانهما، فقالتا:

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣].

رغم ما كان يحس به موسى من تعب وجوع، إلا أنه شعر بدافع قوى يدفعه إلى مساعدة الفتاتين، إنها مشيئة الله وقدره الذى قدّره.

زاحم موسى الرعاة بأغنام الفتاتين وسقاها لهما فى مودة، حتى إذا انتهى مما فعل، عاد إلى مجلسه تحت الشجرة، وهو ينادى ربه:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

عادت الفتاتان إلى أبيهما الشيخ مبكرتين، على غير العهد بذلك، ولما سألهما أبوهما أخبرتاه بما كان من أمر ذلك الفتى الشجاع الذى ساعدهما، وسقى لهما أغنامهما.

لأن الله كان له فى ذلك مشيئة، طلب الشيخ من إحدى ابنتيه وهى الصغرى أن تعود، لتأتى بالفتى، وسيكون معه لقاء.

عادت الفتاة إلى موسى، وأخبرته بما قاله أبوها، فصحبها إلى دارها، حيث التقى بأبيها الشيخ.

كان الشيخ مؤمناً.. طيباً.. حكيماً.

حكى موسى للشيخ قصته.. مولده، تربيته في قصر فرعون، وحكى له عن قومه بنى إسرائيل، وقصتهم في مصر مع يوسف.

عرض الشيخ على موسى أن يستأجره ثمان أو عشر سنوات على أن يتزوج إحدى ابنتيه.

وتراضى الشيخ وموسى على ما تعاهدا عليه، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

وهكذا شاء الله لموسى أن يعيش فى أرض مدين.

**** زمن هذه الأحداث:**

حاول كثير من الرواة أن يتعرفوا على زمن هذه الأحداث، فربطوا بين موسى ونبى الله شعيب[1].

لكن الدراسات التاريخية التى ترتبط بهذه الأحداث تؤكد أنه لا توجد علاقة زمنية بين موسى وشعيب.

فنبى الله شعيب كان يعيش في الفترة ما بين ١٦٠٠ق. م حتى ١٥٠٠ ق. م.

فإذا تتبعنا أحداث قصة موسى ﷺ، نجد أنه كان فى فترة متأخرة عن هذا التاريخ، فبين موسى وشعيب ٣٠٠ سنة.

والدراسة التاريخية تؤكد أن هذه الفترة كان يحكم فيها مصر الفرعون مرنبتاح الذى خلف أباه رمسيس الثانى، وكان ذلك بين ١٢٢٤ق. م حتى ١٢١٤ق. م هى الفترة التى هرب فيها موسى من مصر.. وذلك استناداً لبقية الأحداث التالية.

معنى ذلك أن الشيخ الذى تزوج موسى ابنته ليس هو نبى الله شعيب، وإنما

(١) شعيب: سبقت ترجمة له فى قصة الأيكة، إحدى قصص هذا الكتاب.

هو الشيخ يثرون، الذى كان كاهناً.. ويقال إنه كان ابن أخ لشعيب، أو لعله كان واحداً من أحفاده.

نخرج من كل هذا بأن زمن هذه الأحداث كان يتزامن مع حكم مرنبتاح في مصر.

**** موقع المكان:**

من خلال هذه الأحداث ندرك أن المكان الذى استقر فيه موسى عند صهره يثرون، كان بأرض مدين.

أرض مدين هذه تقع شرق خليج العقبة، وامتدادها شرق البحر الأحمر، وهذه المنطقة الآن جزء من المملكة العربية السعودية، تقع في شمالها الغربى.

أرض هذه المنطقة صخورها حجرية، بها بعض الجبال مثل جبل الخنشان وجبل برارة وجبل اللوز، بالإضافة إلى بعض المنخفضات الصخرية التى كانت تستخدم كمخازن للمياه في فصل الأمطار الشتوية.

تمتد بلاد مدين من رأس خليج العقبة عند دائرة عرض ٢٩° شمالاً إلى دائرة عرض ٢٦° شمالاً تقريباً.

ويقول الرواة إن عاصمتها كانت تسمى البدع، كانت تقع شرق العقبة، فهى بذلك تشمل مساحة كبيرة من شمال غرب المملكة العربية السعودية.

ومعروف أن هذه المنطقة جغرافياً تتبع شبه مناخ البحر الأبيض المتوسط، الصيف الذى يمتاز بجفافه وحرارته، واعتداله، وأمطاره شتاءً.

والأمطار التى تسقط على هذه المنطقة في فصل الشتاء نتيجة لهبوب الرياح العكسية الغربية التى تتشبع ببخار الماء من البحر الأحمر وخليج العقبة، وحينما تهب على هذه المنطقة تسقط أمطارها.

طبيعة هذه المنطقة صخرية، تكثر فيها المنخفضات الصخرية، وبعض

الجبال القليلة الارتفاع.

من أجل هذا كان السكان يختزنون مياه الأمطار في هذه الأحواض الصخرية، كى يستخدموا ما اختزنوه في فصل الجفاف، فصل الصيف.

ولعل موسى حين سقى أغنام ابنتى الشيخ يثرون، سقاها من أحد هذه الأحواض، حتى قال بعض المؤرخين: إن الحوض كان عليه غطاء هو صخرة كبيرة ثقيلة، استطاع موسى بشجاعته وقوته أن يزيح هذه الصخرة عن فوهة الحوض، ليسقى الأغنام، ومما يؤكد هذا ما ذكرته الفتاة لأبيها عن موسى فى قوله تعالى:

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦].

* * * * *

الوادى المقدس طوى

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه: ١١ - ١٢].

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم: ٥٢].

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القصص: ٤٦].

**** قصة الأحداث التى وقعت فى هذا المكان:**

بعد أن انتهى موسى [1] من مدة العهد الذى تعاهد عليه مع الشيخ يثرون، كان فى لهفة للعودة إلى مصر.

أعطاه صهره بعض الأغنام، واصطحب موسى معه زوجته صافورة، وولديه جرشون وعازر اللذين أنجبهما فى غربته فى أرض مدين.

مضى الجميع في الطريق من مدين عائدين إلى مصر.

تاه موسى وأهله في الطريق، وكان البرد قارساً شديداً، والليلة مظلمة حالكة السواد.

كان على موسى أن يجد ناراً، يستدفئ بها هو وأهله، فصلد حجرين، فلم يوريا ناراً!!.

من بعيد.. رأى موسى ناراً مشتعلة، فقال لأهله:

﴿ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ [طه: ١٠].

ترك موسى أهله، وذهب متجهاً إلى النار.

كان موسى قد وصل إلى المكان المقدس طوى، ولدهشته رأى شجرة خضراء، قد

---

(١) هو موسى بن عمران (عمرام) بن قاهث بن عازر من بنى لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهما السلام)، هو أحد أولى العزم من الرسل.

اشتعلت فيها النار، لا الشجرة تحترق، ولا النار تنطفئ!!

ما كاد موسى يقترب من الشجرة، حتى سمع صوتاً يناديه:

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١١ - ١٤].

وما يملك موسى إلا أن يخلع نعليه، تقديساً للمكان الذى نزل به، وتنفيذاً لأمر ربه، وقد غلبته الدهشة والخوف.

بعد حين.. سمع موسى الهاتف يناديه:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧].

قال موسى:

﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: ١٨].

عاد الصوت يناديه:

﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [طه: ١٩ - ٢٠].

فما كاد موسى يلقى عصاه، حتى تحولت إلى حيَّة تسعى.

امتزجت دهشة موسى بالفزع، لكنه سرعان ما اطمأن إلى الصوت، وهو يناديه:

﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: ٢١].

وسعد موسى حين قبض على الحية، فإذا هى قد عادت عصا.. اختفت الحيَّة!!

مرة ثانية.. عاد الصوت يناديه:

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٢].

أدخل موسى يده في جيبه، ثم أخرجها فإذا هى بيضاء تضيء المكان حوله.

وعاد الصوت ينادى:

﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٣٢].

هنالك.. عادت إلى ذهن موسى صورة ما وقع منه في مصر، حين قتل أحد المصريين، وأن لسانه أعجز من أن يناقش فرعون، فنادى ربه:

﴿رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٣ - ٣٤].

قال الله لموسى:

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: ١٥ - ١٦].

هذا ما حدث فى الوادى المقدس طوى، وللأحداث بقية في أماكن أخرى.

**** زمن هذه الأحداث:**

بمتابعة لأزمنة الأحداث السابقة واللاحقة، نستطيع أن نقول: إن هذه الأحداث وقعت حوالى ما بين سنة ١٢١٥ ق. م إلى سنة ١٢١٣ق. م وهى الفترة التى كانت في أواخر عهد الفرعون مرنبتاح (الذى تولى الحكم من سنة ١٢٢٤ ق. م - ١٢١٤ق. م) وبداية عهد الفرعون سيتى الثانى (١٢١٤ق. م حتى غرقه حوالى سنة ١٢٠٤ ق. م.

**** موقع المكان:**

الوادى المقدس طوى: هى المنطقة التى تقع بين جبل موسى ومدينة الطور، وسنتحدث عن جبل موسى بعد ذلك.

معروف أن مدينة الطور تقع جنوب غرب جبل موسى (جبل حوريب) وهى الآن عاصمة محافظة سيناء الجنوبية.

تقع مدينة الطور على الساحل الشرقى لخليج السويس، أحد ذراعى البحر الأحمر، في منطقة تقترب من إنتاج البترول في بلاعيم وفيران.

كانت مدينة الطور فيما مضى الميناء الذى يبدأ منه الحجاج المصريون رحلتهم بالبواخر إلى المملكة العربية السعودية .

على غير بعيد من الطور، توجد مدينة شرم الشيخ إحدى المدن السياحية العالمية في مصر، والتى تقع عند التقاء خليج العقبة بخليج السويس ذراعى البحر الأحمر.

معروف جغرافياً أن هذه المنطقة أمطارها شتوية، ولكنها أقل من جبل موسى؛ لأنها تقع في منطقة أقل ارتفاعاً.

* * * * *

obeikandl.com

بحر سُوف

البحر الذى عبره بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣].

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ [طه: ٧٧].

﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس: ٩٠].

**** قصة الأحداث التى وقعت في هذا المكان : مقدماتها وآثارها :**

رفض فرعون مصر دعوة موسى إلى الإيمان بالله، والسماح لبنى إسرائيل بالخروج من مصر.

اشتعل العداء بين موسى من جهة، وفرعون ورجاله من جهة أخرى، حين كسب موسى جولة السحر، وانتصر على سحرة فرعون الذين آمنوا بإله موسى، ورفضوا تهديد فرعون لهم.

أنزل الله العقاب على فرعون ورجاله:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

أرسل عليهم:

﴿ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

كثيراً ما لجأ فرعون ورجاله إلى موسى أن يدعو الله، ليكشف عنهم ما أصابهم من

السوء، على وعد بالإيمان بالله.. فما كاد الله يصرف عنهم ما أصابهم، حتى يتنكروا لعهودهم.

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٤ ، ١٣٥].

لم يجد بنو إسرائيل أمامهم إلا أن يهربوا.

فلما كان الليل، خرج بنو إسرائيل ومعهم موسى من ديارهم من أرض جاسان، واتجهوا نحو الشرق.. حتى بلغوا منطقة سكوت، ومنها اتجهوا إلى إيتام. من إيتام اتجهوا نحو بحر سوف[1].

وصل بنو إسرائيل إلى منطقة تسمى فم الحبروت (غرب بحر سوف) على أمل أن يجتازوا المنطقة اليابسة بينه وبين باقى بحيرة المنزلة (حالياً).

ما كاد بنو إسرائيل يصلون إلى هذه المنطقة، حتى لحق بهم فرعون ورجاله.

كان فرعون قد علم بهروب بنى إسرائيل، فكوَّن رجاله عدداً كبيراً من المركبات تجرها الخيول، واتجه مع جنوده إلى المنطقة التى هرب إليها بنو إسرائيل.

أصبح بنو إسرائيل في مأزق.. البحر أمامهم، وفرعون ورجاله من خلفهم..

صرخ بنو إسرائيل، حتى أنهم ندموا على هروبهم من مصر!!

أمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه، وسرعان ما انفلق البحر، وانحسرت عنه المياه، وصارت أرضاً يابسة.. جافة.. اتسعت فيها عدة طرق.. كل أفراد سبط من أسباط أبناء يعقوب ساروا في طريق، حتى عبروا منطقة البحر، ووصلوا إلى منطقة المجدل في الناحية الشرقية لبحر سوف.

---

(١) بحر سوف: يعرف باسم بحر البوص، حيث يكثر فيه نبات الغاب، وهو جزء من امتداد بحيرة المنزلة الحالية، التى كثيراً ما يرتفع فيها منسوب المياه أيام الفيضان.

كان على فرعون أن يلحق ببنى إسرائيل، ليعيدهم إلى مصر، فرأى منطقة البحر أمامه قد تحولت إلى يابس، فتبع بنى إسرائيل.. لكن المياه أطبقت على فرعون ورجاله، فغرقوا جميعاً، وشاء الله أن يكون ما حدث لفرعون عظة، فألقى بجثته على الشاطئ، وانصرف المصريون إلى ما حدث لفرعون، وانشغلوا بإجراءات دفنه في طيبة، بينما كان بنو إسرائيل يسرعون في طريقهم جنوباً إلى أرض شور.

وكان هذا الطريق بداية لهم إلى سيناء.

**** التاريخ الزمنى لهذه الأحداث:**

ترتبط هذه الأحداث بأحداث أخرى حدثت قبلها، وأحداث وقعت بعدها، لكن حقائق التاريخ تثبت أن هذا الحدث وقع في أواخر عهد الفرعون سيتى الثانى الذى تولى الحكم بعد مرنبتاح من سنة ١٢١٤ق. م حتى ١٢٠٥ق. م أو سنة ١٢٠٤ق. م التى غرق فيها.

ربما يرى البعض أن يربط بين هذه الأحداث وبين رمسيس الثانى أو ابنه مرنبتاح، لكن الدلائل تؤكد أن فرعون مصر الذى رفض دعوة موسى لعبادة الله.. كان في سن متقارب من سن موسى، بينما كان رمسيس الثانى يعد بمثابة أبيه أو جده، وكان مرنبتاح بمثابة خاله (لأن إست نفرة زوجة مرنبتاح هى ووصيفاتها هن اللاتى انتشلن موسى من البحر).

يدل على ذلك.. الحوار الذى دار بين موسى وفرعون حين التقيا.

قال فرعون لموسى فى معرض النقاس الذى دار بينه وبين موسى:

﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠١].

فرد عليه موسى رداً قوياً، شديد اللهجة:

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [1] [الإسراء: ١٠٢].

---

(١) مثبوراً: هالكاً.

ومن الواضح ألا يكون هذا الحوار بين موسى وأب لـه، أو خـال، وإنما كـان بينه وبين شخص يقاربه في سنه هوسيتى الثانى حفيد رمسيس الثانى .

**** موقع المكان :**

ونعنى بهذا المكان الطريق الذى سار فيه بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر.

اختلف كثير من الرواة والمؤرخين في تحديد هذا المكان.

قال بعضهم: إنه يبدأ من خليج السويس.. متجهاً إلى سيناء.

وقال آخرون: إنه يبدأ من شمال البحيرات المُرَّة.

لم يذكر القرآن الكريم أى تحديد لطريق هروب بنى إسرائيل من مصر.

ومعروف أن هروب بنـى إسرائيل كـان ليلاً، ولحق بهم فرعون مصر ورجالـه صباحاً، أى أنهم لم يسيروا مسافة كبيرة.

هذا الطريق يبدأ من أرض جاسان في شرق الدلتا إلى المنطقة التى تعرف باسم إيتام، ثم إلى المنطقة كانت تعرف باسم فم الحبروت ثم إلى بحرسوف (الذى كان جزءا من جنوب بحيرة المنزلة القديمة ثم إلى أرض شور، ثم إلى سينا .

* * * * *

جبل موسى

(جبل حوريب) حيث كلَّمَ الله موسى عليه السلام

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

**** قصة الأحداث التى وقعت في هذا المكان:**

عاش موسى وبنو إسرائيل في سيناء بعد خروجهم من مصر، ينعمون بما أسبغه الله عليهم من نعم وخيرات.. فجَّر لهم موسى بمشيئة الله اثنتى عشرة عيناً، يستقون منها، وأنزل الله عليهم المنَّ والسَّلوى، طعاماً لهم وحلوى، وأنبت الله لهم من الأرض ما يعيشون عليه من حبوب وخضر وفاكهة.

طلب موسى من ربه أن ينظر إليه.. أن يراه!!

أمر الله موسى أن يذهب إلى الجبل الذى نحن بصدد الحديث عنه، وقبل أن يراه عليه أن يصوم ثلاثين ليلة، ثم يصعد الجبل.

ترك موسى قومه مع أخيه هارون، ووعدهم أن يأتى إليهم بعد ثلاثين يوماً..

اتجه موسى إلى الجبل، وصام ثلاثين ليلة، حتى إذا انتهت الثلاثون ليلة، استعد للقاء ربه، ولكنه شعر أن رائحة فمه كريهة من طول مدة الصوم[1]، فالتقط قطعة من ثمرة، ولاكها في فمه، واستعد للقاء ربه.

لكن الله أمره أن يصوم عشرة أيام أخرى، فتم ميقات ربه أربعين ليلة[2].

---

(١) كان صوم موسى فى شهر ذى القعدة، والعشر الأولى من ذى الحجة.

(٢) فى تلك الفترة.. انتهز السامرى طول غياب موسى، فصنع لبنى اسرائيل عجلاً لـه خوار، وأمرهم أن يعبدوه، وأن يسجدوا لـه كإله، بدلاً من إلـه موسى (راجع قصة السامرى في القرآن الكريم الآيات ١٤٨ ، ١٤٩ من سورة الأعراف).

وهكذا استعد موسى للقاء ربه.

نادى موسى ربه:

﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال الله جل جلاله لموسى:

﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ولدهشة موسى، رأى الجبل قد دُكَّ دكاً [(١)].. عند ذلك.. خَرَّ موسى صعقاً مغشياً عليه.. ساجداً لله، فلما أفاق، قال:

﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال الله لموسى:

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وأنزل الله على موسى ألواحاً مكتوب عليها تعاليم ووصايا وأوامر الله لبنى إسرائيل.

أخذ موسى الألواح، ونزل الجبل، وعاد إلى قومه، فوجد كثيراً منهم يرقصون ويسجدون للعجل الذى صنعه لهم السامرى من الذهب الذى كان نساؤهم قد اقترضنه من النساء المصريات قبل رحيلهن.

كانت هذه الألواح بها الوصايا العشر التى منها: لا تسرق.. لا تزن.. لا تشرك بالله.. [(٢)].

---

(١) من ينظر إلى هذا الجبل الآن يدرك الفرق بين الجزء الذى دُكَّ منه، وبقيته. انظر الصورة.

(٢) أجمل القرآن الكريم هذه الوصايا في قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ

وأحرق موسى عجل السامرى، وذرى ترابه في الهواء، وهرب السامرى يندب حظه في البرية.

**** زمن هذ الأحداث:**

من دراسة التاريخ نعلم أن خروج بنى إسرائيل من مصر كان سنة ١٢٠٥ ق. م.

معنى هذا أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ١١٩٥ق. م حتى سنة ١١٨٠ ق. م أى بعد حوالى عشرين عاماً من خروج بنى إسرائيل، وقبل أن يكتب الله على بنى إسرائيل التيه لرفضهم دخول الأرض المقدسة التى كتبها الله لهم.

**** موقع المكان:**

عرف هذا الجبل بجبل موسى، أو جبل حوريب، أو جبل المناجاة.

يقع هذا الجبل في جنوب شبه جزيرة سيناء المصرية، حيث يحيط به من الشرق خليج العقبة ومن الغرب خليج السويس ومن الجنوب البحر الأحمر، وبين الجبل والمياه سهل ساحلى يضيق فى بعض المناطق، ويتسع في الأخرى.

وهذا الجبل يرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالى ٢٦٤٠ متراً.

به عدة قمم.

إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

صورة جبل موسى (حوريب) حيث نزلت على موسى الألواح التى بها وصايا الله

يتبع هذا الجبل إدارياً محافظة جنوب سيناء المصرية.

فى أعلى الجبل يوجد دير سانت كاترين التى يرجع تاريخه إلى حوالى عام ٣٤٢م، والكنيسة الكبيرة، تحيط بالدير والكنيسة حدائق وبساتين تنتج كثيراً من أنواع الفاكهة كالتين والعنب والمشمش، والخضر والمحاصيل التى تقوم عليها حياة رهبان الدير والكنيسة.

هذا الدير كان يعرف باسم دير السيدة العذراء، ثم أطلق عليه الاسم الحالى فى القرن التاسع عشر الميلادى.

للوصول إلى هذا الدير على الإنسان أن يصعد ٣٠٠٠ درجة نحتها الرهبان في الجبل على مر السنين، وعندما يصل يجد منطقة غنية بالماء والمزروعات.

هذا الدير بناه الإمبراطور جوستنيان (٥٢٧م - ٥٩٥م)، ليكون مقراً للرهبان وللانقطاع للعبادة وهو عبارة عن قلعة حصينة، يحيط بها سور أضلاعه شبه مربع

١١٧ × ٨٠ × ٧٠ × ٣٦ متراً، وارتفاعه من ١٢ - ١٥ متراً وسمك جداره ٢٢٥ سم، والسور مبنى من الجرانيت، له ثلاث بوابات.

بالدير مكتبة غنية بالكتب، فيها أقدم الأناجيل.

كما يوجد مسجد كبير بناه علىُّ الأفضل وزير الحاكم بأمر الله الفاطمى (١١٠١ - ١١١٠) وكنيسته معروفة بكنيسة الخلاص، وكنيسة أخرى صغيرة.

والدير محاط بعدد من الجبال يصل ارتفاع بعضها إلى ١٥٠٠ متراً.

يبعد الدير عن القاهرة بحوالى ٤٤٠ كيلو متراً.

وهذا يعنى أن هذا الجبل يمثل منطقة مقدسة عند أصحاب الديانات الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية، فهو بذلك يتبوأ مكانة دينية وتاريخية هامة.

صورة لدير سانت كاترين على جبل موسى

*****

مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ

حيث التقى موسى عليه السلام والعبد الصالح

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠].

**** تمهيـــد:**

اختلف الرواة والمفسرون فى تحديد المنطقة التى التقى فيها موسى مع العبد الصالح.

قال بعضهم:

- كان ذلك عند التقاء خليج العقبة مع خليج السويس فى جنوب سيناء، على أنهما بحران يلتقيان فى هذا المكان.

رأى آخر قال أصحابه:

- كان ذلك عند منطقة السويس، حيث كانت تلتقى ترعة سيزوستريس التى حفرها الفرعون سنوسرت، لتصل بين النيل والبحر والأحمر عند السويس، وكان الغرض منها ربط النيل بالبحر الأحمر، لتسهيل التجارة بين البحرين الأحمر والمتوسط.

فإذا ناقشنا الرأيين، نجد أن الرأى الأول بعيد الاحتمال، لأنه يقع فى منطقة بعيدة عن المنطقة التى كان يعيش فيها بنو إسرائيل فى سيناء، فليس من المعقول أن يترك بنو إسرائيل منطقة الغرب والشمال، ويعيشوا فى الجنوب، وكلها كما نعرف منطقة جبلية، صعبة السير فيها.

أما بالنسبة للرأى الثانى: فلا أوافق عليه، لأننا لا ندرى إن كانت هذه القناة مازالت تعمل فى عصر موسى، وهو عصر الأسرة التاسعة عشر، أم ردمت علمًا بأن هذه القناة حفرت فى عهد الأسرة الثانية عشر.

ثم إن السويس مكان قريب من مصر، والمفروض أن بنى إسرائيل ابتعدوا عنها.

والرأى عندى أنه كان فى منطقة غير هذه وتلك، فأين تكون هى؟

إذا نظرنا إلى خريطة مصر أيام موسى، نجد أن النيل كان لـه ستة أو ثمانية فروع، موزعة فى شرق الدلتا ووسطها وجنوبها.

من هذه الفروع التى فى شرق الدلتا كان فرع النيل الباليوزى الذى يصب فى البحر المتوسط قرب بحيرة البردويل الحالية، وقد ذكرنا أن هذا الفرع تقع عليه العاصمة برعمسيس، وفى مكان منه، ألقى فيه موسى وهو طفل رضيع.

مع ملاحظة أن كلمة البحرين بمدلولهما، لا يشترط أن تكون مياه الاثنين ملحًا، من الجائز أن يكون أحدهما ماؤه ملح والآخر ماؤه عذب، أى أن نهر وبحر.

يؤكد هذه الحقيقة.. ما جاء فى قولـه تعالى:

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٠].

فقد عبر القرآن الكريم أن أحدهما مالح، والآخر عذب، اختلفت كثافة كل منهما عن الآخر، فهما لا يختلطان.

وهذه الحقيقة تنطبق على المكان الذى نحن بصدد الحديث عنه، حيث يلتقى الفرع الباليوزى لنهر النيل القديم مع البحر المتوسط عند مكان كان يعرف باسم باليوزم اسمه الآن الفرما.

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

من دراستنا لعصر موسى والعبد الصالح التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى سورة الكهف الآيات ٦٠ - ٨٢، وفى حديث رسول الله ﷺ عن اللقاء بين موسى والخضر، هذا الحديث رواه مسلم عن سعيد بن جبير (مختصر صحيح مسلم).

وتتلخص هذه الأحداث فيما يلى:

قام موسى عليه السلام خطيبًا فى بنى إسرائيل، فسألوه:

- أى الناس أعلم؟

فقال موسى:

- أنا أعلم الناس.

فعتب الله على موسى، وأوحى إليه أن عبدًا من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك، فسأل موسى ربه:

- يا رب كيف لى به؟

فطلب الله من موسى أن يحمل حوتًا فى مكتله، وسيجده حين يفتقد الحوت.

أخذ موسى حوتًا فى مكتله، وصحب فتاه يوشع بن نون [1]، وسارا، حتى وصلا إلى صخرة، وكان التعب قد أنهكهما، فناما عندها.

فى أثناء نوم موسى، اضطرب الحوت فى المكتل وخرج منه، وسقط فى البحر، وأمسك الله الحوت عن أن تجرفه المياه، فبقى فى مكانه.

فلما استيقظ موسى وفتاه، انطلقا فى طريقهما بقية يومهما وليلتهما، ونسى فتى موسى أن يخبره بما حدث للحوت.

بعد حين.. طلب موسى من فتاه:

﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الكهف: ٦٢].

قال فتى موسى له:

﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الكهف: ٦٣].

عند ذلك طلب موسى من فتاه أن يعودا إلى الصخرة، فرجعا، حتى أتياها.

---

(١) هو يوشع بن نون، وستأتى ترجمة له فى قصة دخول بنى إسرائيل أول قرية من فلسطين.

عند هذه الصخرة، وجدا رجلاً [1] واقفًا على بساط من العشب الأخضر، فسلم موسى عليه، فقال له الرجل:

- إن بأرضك السلام.

قال موسى:

- أنا موسى نبى بنى إسرائيل.. أخبرنى الله أنك أعلم أهل الأرض.

قال الرجل:

- إنك على علم من علم الله علمكه الله، ولا أعلمه، وأنا على علم علمنى الله لا تعلمه.

قال موسى:

﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٦].

قال الرجل الصالح:

﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الكهف: ٦٧ - ٦٨].

قال موسى:

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الكهف: ٦٩].

قال الرجل:

---

(١) لم يذكر القرآن الكريم اسم هذا الرجل، ولكن حديث رسول الله سماه بالخضر، وقد اختلف العلماء هل هو نبى؟ أم عبد صالح: أو نبى مرسل، الله أعلم.
واختلف العلماء كذلك فى نسبه.
قال بعضهم: ومنهم أبو إسحاق النيسابورى (الثعلبى): اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عامر. ينتهى نسبه إلى سام بن نوح.
وقال آخرون: إنه من صلب آدم.. أطال الله فى عمره، حتى حضر كثيرًا من الأنبياء والرسل
واختلفوا: هل مات أم ما يزال حيًا حتى اليوم.
وقالوا: إن الرسول لقيه ليلة المعراج. والله أعلم.
ونحن نرى أنه لا بأس أن نسميه الخضر كما ذكره الرسول ﷺ.

﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الكهف: ٧٠].

هذا كله حدث فى المكان الذى نحن بصدد الحديث عنه. وهو مجمع البحرين

وتمضى أحداث القصة بعد ذلك فى أماكن أخرى.

حين ركبا السفينة، فخرقها العبد الصالح.

وحين قتل العبد الصالح غلامًا بغير نفس.

وحين دخلا قرية، فاستطعما أهلها، فمنعوا منهما الطعام، مع ذلك وجد العبد جدارًا متهدمًا، يكاد تتساقط لبناته، فأزاله، وأعاد بناءه بلا مقابل.

وفى كل مرة كان موسى يندهش مما يفعله العبد الصالح، ويسأله:

- لم فعلت هذا؟

فيرد عليه العبد الصالح فيقول:

- ألم أقل لك إنك لم تستطع معى صبرًا ؟

بعد ذلك فسر العبد الصالح لموسى أسباب ما فعله.

أما بالنسبة للسفينة، فقد عرف أن رجال الملك يأخذون كل سفينة غصبًا، فأراد العبد الصالح أن يحدث عيبًا فى السفينة، فخرقها حتى لا يأخذها رجال الملك.

وأما الطفل الذى قتله، فقد أعلمه الله أن هذا الغلام سيرهق أبويه بكفره، وأن الله سيعوضهما عنه بطفل ينجبانه، يكون خيرًا لهما.

وأما الجدار، فكان لغلامين يتيمين فى المدينة، وكان أبوهما رجلاً صالحًا، وكان تحت الجدار كنز.

وافترق موسى عن الخضر، بعد أن أدرك الحقيقة، وهى أنه ليس أعلم أهل الأرض.

**** زمن هذه الأحداث :**

لا نستطيع أن نحدد بالضبط زمنًا لهذه الأحداث، ولكننا نستطيع أن نقول : إنها

حدثت فى عهد موسى، ولعل هذا حدث بعد خروج بنى إسرائيل من مصر، وقبل التيه.

ومن المحتمل أنها حدثت من سنة ١١٧٠ق. م - سنة ١١٥٠ق. م وفقًا لترتيب أحداث قصة موسى فى أماكنها. والله أعلم.

**** موقع المكان:**

يقع مكان مجمع البحرين، حيث التقى موسى مع الخضر فى مدينة باليوزم (الفرما) حيث يلتقى نهر النيل الفرع الباليوزى مع البحر المتوسط.

وتعتبر هذه المدينة أول مدخل لمصر من جهة الشرق.

تبعد هذه المنطقة عن رفح عند حدود مصر مع فلسطين حوالى ١٨٠كم.

هذه المنطقة مناخها يتبع مناخ البحر المتوسط بحرارته وجفافه صيفًا، واعتداله وأمطاره شتاءً.

هذه الأمطار تقل كلما اتجهنا شرقًا، ومصدرها الرياح العكسية الغربية.

* * * * *

هضبة التيه

التى تاه فيها بنو إسرائيل

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة: ٢٦].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

أنقذ الله بنى إسرائيل مما كانوا يعانونه من مذلة وسخرة على أيدى فراعنة مصر، واستقر بهم المقام فى سيناء، ينعمون بخيراتها، ونعم الله عليهم.. فجَّر لهم العيون؛ ليستقوا من مائها، وأنزل عليهم المن والسلوى.. طعامًا لهم وحلوى.

مع ذلك.. عصى بنو إسرائيل ربهم، وعبدوا عجل السامرى، ولم يستجيبوا لما أمرهم الله به، حين أنزل عليهم الألواح التى بها أوامر وتعليمات الله لبنى إسرائيل.

كان الله قد وعد نبيه إبراهيم عليه السلام [1] أن يعطيه أرض كنعان (فلسطين)؛ لذلك طلب موسى من بنى إسرائيل أن يحاربوا الكنعانيين، ليدخلوا الأرض التى وعد الله بهم جدهم إبراهيم، قال لهم موسى:

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة: ٢١].

لكن بنى إسرائيل جبنوا عن مواجهة أعدائهم وقتالهم، وقالوا لموسى:

---

(١) هذا الوعد لا يعنى التسليم لليهود الآن بحقهم فى فلسطين، ذلك لأن هذا الوعد كان لإبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وقد تحقق هذا الوعد على يد نبى الله داود الذى انتصر على الفلسطينيين، وجاء من بعده ابنه نبى الله سليمان، ووسع أملاك دولته على حساب الدول المجاورة له، فلما عاد بنو إسرائيل إلى عصيان الله والأنبياء، انقسمت دولتهم إلى قسمين، وسلط الله عليهم جيرانهم من الأشوريين والفينيقيين والمصريين والفرس، حتى ضاعت معالم الدولة اليهودية.
مع ملاحظة أن الوعد كان لبنى إسرائيل، لكن يهود اليوم ليسوا من سلالة بنى إسرائيل، فقد انتشرت الدعوة اليهودية خارج فلسطين إلى دول كثيرة فى أوربا وآسيا وأفريقيا، ولم تعد قاصرة على بنى إسرائيل، وليس كل يهودى اليوم من بنى إسرائيل. (المؤلف).

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة: ٢٢].

وقالوا:

﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة: ٢٢].

هكذا.. عصى بنو إسرائيل نبيهم موسى وإلههم.

لذلك كتب الله على بنى إسرائيل التيه فى البرية أربعين سنة، حرم عليهم فلسطين، قال الله لموسى:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: ٢٦].

هكذا.. كانت بداية التيه، تيه بنى إسرائيل حتى تنتهى الأجيال التى عصى أصحابها موسى.

وسار بنو إسرائيل فى الأرض تائهين، لا يدرون ماذا يفعلون، ولا أين ينتهى بهم السير.

لم يكونوا تائهين فى الأرض فقط، لكنهم كانوا يسيرون طوال النهار، فإذا جنَّ الليل، هدأوا للراحة والنوم، ولكنهم لدهشتهم حين يستيقظون فى الصباح، يجدون أنفسهم فى نفس المكان الذى بدأوا فيه رحلة الأمس، كأنهم لم يغيروا مكانهم!!

وتاه بنو إسرائيل فى البرية أربعين عامًا، مات خلالها هارون ومن بعده موسى عليهما السلام، وانقرض كل من عصى موسى، ولم يبق منهم إلا من كانت أعمارهم لا تزيد عن العشرين عامًا.

وسيكون لنا مع هؤلاء لقاء آخر فى مكان آخر.

**** زمن هذه الأحداث :**

واضح من خلال الأحداث أنها وقعت فى عصر موسى ﷺ، وقعت لبنى إسرائيل فى سيناء بعد خروجهم من مصر سنة ١٢٠٥ق. م.

ومعروف أن دخول بنى إسرائيل أريحا بقيادة نبى الله يوشع سنة ١١١٤ق. م.

∴ تكون هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ١١٥٤ق. م حتى سنة١١١٤ق. م.

**** موقع منطقة التيه :**

تنقسم سيناء إلى ثلاثة مناطق:

١) القسم الجنوبى الذى يقع فيه جبل موسى. وهى منطقة جبلية.

٢) القسم الشمالى: وهو عبارة عن سهول تطل على البحر المتوسط، وهو أقل المناطق فى سيناء ارتفاعًا.

٣) القسم الأوسط: وهو هضبة مرتفعة تشمل هضبة العُجْمة وهضبة التيه.

ومعنى هذا أن بنى إسرائيل تاهوا فى المنطقة التى تشغلها الآن هضبة التيه ، ولعل هذه الهضبة سميت بهذا الاسم، لأنها منطقة تيه بنى إسرائيل.

تقع هضبة التيه بين هضبة العجمة فى الجنوب، والسهول الساحلية الشمالية.. يخترقها عدة أودية تمتلئ بالمياه فى فصل الشتاء (بسبب الرياح العكسية) وتكون جافة فى فصل الصيف.

هذه الأودية، من أهمها وادى العريش الذى ينبع من هضبة العجمة، وينتهى إلى البحر المتوسط.. ثم وادى اليرموك، ووادى العقبة، ووادى سدر.

* * * * *

أريحا

أول قرية في فلسطين دخلها بنو إسرائيل

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨ - ٥٩].

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦١].

**** قصة أحداث المكان:**

خرج بنو إسرائيل من مصر، بعد أن عبر بهم موسى عليه السلام بمعجزة من الله، وأغرق الله فرعون مصر ورجاله.

اتجه بنو إسرائيل إلى سيناء، حيث استقروا فيها، ينعمون بالأمن، وبما وهبهم الله من خيرات ونعم، لتمضي بهم الحياة كما شاءها الله لهم.

ذات يوم...

طلب موسى من قومه بنى إسرائيل أن يحاربوا الكنعانيين، سكان فلسطين، ليدخلوا الأرض المقدسة التى وعد الله بها إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، قال موسى لقومه:

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة: ٢١].

لكن بنى إسرائيل كالعهد بهم.. جبنوا، وخافوا، وقالوا لموسى:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢٢].

من أجل ذلك.. كتب الله على بنى إسرائيل التيه في البريّة أربعين سنة.

خلال الأربعين سنة، توفى نبى الله هارون، ودفن فى سفح جبل هور بسيناء، ومن بعده توفى موسى ﷺ، ودفن فى جبل نبو، على غير بعيد من الأرض المقدسة فلسطين، وخلف موسى في النبوة وقيادة بنى إسرائيل يشوع بن نون[1].

كان جيل رجال موسى قد انتهوا جميعاً أثناء فترة التيه، وخلف من بعدهم خلف جديد، أدركوا ما أصاب أباءهم وأجدادهم بسبب جبنهم، فتحمسوا لدخول فلسطين (أرض كنعان)، ليحققوا وعد الله.

أمر الله يوشع بن نون ورجاله أن يدخلوا فلسطين، ولأن أقرب مكان إلى مقام بنى إسرائيل كانت قرية أريحا التى لا يفصلها عن بنى إسرائيل إلا نهر الأردن، قال الله لهم:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨].

ومما يروى أن الإسرائيليين كانوا يحاربون الكنعانيين يوم الجمعة، وحان موعد غروب الشمس، فدعا يوشع ربه أن يطيل ساعات النهار، ويؤخر غروب الشمس، واستجاب الله له.

لكن بنى إسرائيل حين دخلوا قرية أريحا لم يتبعوا قول الله لهم.. دخلوا زاحفين ولم يدخلوا ساجدين، وكانوا يقولون حنطة التى تعنى القمح، بدلاً من حِطَّة، وفى هذا قال الله تعالى:

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٥٩].

---

(١) يوشع بن نون بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، هو فتى موسى الذى حضر معه لقاءه مع الخضر، جاء ذكره في القرآن الكريم باسمه إليسع في قوله تعالى:﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٦]. كما جاء بصفته فتى موسى فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠].

**** زمن هذه الأحداث:**

اختلف المؤرخون فى تاريخ موعد خروج بنى إسرائيل من مصر، ولقد ذكرنا - ربطاً بالتاريخ الفرعونى - أن هذا وقع في نهاية عصر الفرعون سيتى الثانى أى حوالى سنة ١٢٠٥ ق.م.

فإذا أضفنا إلى هذا التاريخ خمسين عاماً عاشها بنو إسرائيل في سيناء، بالإضافة إلى أربعين عاماً هى مدة التيه في سيناء، فيمكن أن نعتبر أن دخول بنى إسرائيل أريحا كان حوالى سنة ١١١٥ ق. م مع التجاوز عن عشر سنوات زيادة أو نقصاً.

ويقول بعض المؤرخين إن يوشع حكم بنى إسرائيل سبعة وعشرين عاماً.

ويعتبر بداية عصر يوشع بن نون هو عصر قضاة بنى إسرائيل الذى انتهى بعصر شمشون، والتى قامت خلاله عدة حروب بين الإسرائيليين وجيرانهم، فقد الإسرائيليون خلالها تابوت العهد [١] استولى عليه الفلسطينيون ووضعوه عندهم فى قرية اسمها بيت داجون، وأعادته الملائكة إلى بنى إسرائيل، ليبدأ بعد ذلك عصر النبى داود عليه السلام.

**** موقع المكان:**

تقع أريحا غرب نهر الأردن، وتبعد عنه حوالى ٨ كم، كما تقع شمال شرق مدينة القدس [٢]، وتبعد عنها حوالى ١٠ كم، وتقع شمال بيت لحم، وتبعد عنها نحو ١٠ كم.

أمطار هذه المنطقة شتوية.

* * * * *

(١) تابوت العهد أو تابوت الشهادة: هو صندوق من خشب السنط ١.٥ × ١ × ١ متراً، مغطى من الداخل والخارج بطبقة من الذهب، يحتوى هذا التابوت على لوحى الشهادة اللذين نقشت عليها وصايا الله لبنى إسرائيل، كان هذا التابوت يجلب لبنى إسرائيل النصر على أعدائهم، استولى عليه الفلسطينيون، ثم تركوه ليعود إليهم. جاء ذكره في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

(٢) القدس: كانت تعرف باسم يبوس عاصمة اليبوسيين، فرع من الكنعانيين، ثم عرفت بعد ذلك باسم أورسالم (أورشليم) وتعرف الآن، باسم بيت المقدس، وهى عاصمة للدولة الفلسطينية.

سبـــأ

بين سد مأرب وقصة بلقيس مع سليمان

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧].

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: ٢٢].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

يمكن أن نقسمها قسمين: أحدهما فى عصر، والثانية فى عصر آخر، تلك الأحداث التى أوردها القرآن الكريم.

أما الأحداث الأولى، فتتلخص فى أن أحد ملوك اليمن، واسمه سبأ [1] كان ملكًا عظيمًا ذكيًا، مخلصًا لوطنه ولشعبه.. كان أبوه قد أعده للحكم، وسياسة الدولة.

ذات يوم..

صحب سبأ نفرًا من خاصته ورجال حاشيته من ذوى الرأى والحكمة، ومضى فى مملكته، يتفقد أحوال رعيته.. صعد النجود، وهبط الوديان، وتسلق رؤوس الجبال، حتى وصل إلى مكان فسيح بين جبلين، تنساب فيه الأمطار التى تسقط فى فصل الصيف، والتى تشتهر بها اليمن؛ بسبب ارتفاعاتها، وكان سبأ يعلم أن مياه هذه الأمطار تنحدر

---

(١) سبأ: كان اسم لرجل، ثم أطلق على مدينة، ثم على دولة، هو سبأ (عبد شمس) بن يشجب بن يعرب ابن قحطان من العرب العاربة.. ينتهى نسبه إلى سام بن نوح ﷺ، وسبب تسميته بعبد شمس أنه وقومه كانوا يعبدون الشمس، يؤكد هذا ما جاء فى القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: ٢٤].

نحو مياه البحر، دون أن يستفيد منها أهل اليمن شيئًا.

لذلك فكر سبأ والرجال معه أن يبنوا سدًا بين الجبلين، يحجز مياه الأمطار خلفه، وأن يجعلوا له بوابات، تفتح وتغلق لتصريف المياه خلفه حسب الحاجة.

وبعد عدة مناقشات.. استقر الرجال على بناء السد.

كان العمال يبنون السد بإشراف الملك ورجاله. منهم من يقطع الأحجار، ومنهم من يبنى، حتى أقاموا السد بين الجبلين، وجعلوا له ثلاثين بابًا، تفتح وتغلق لانسياب المياه حسب الحاجة.

وحين جاء موسم سقوط الأمطار، احتجزت المياه خلف السد، وصرفت فى قنوات، لاستخدامها فى رى المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة.

وهكذا حقق سبأ لشعبه الرفاهية.

وتتابعت السنوات، وكل ملك من الملوك الذين جاءوا بعد سبأ يهتمون بالسد مثل بلقيس التى رفعت بناءه، وآخرون كانوا يقومون بأعمال الصيانة، حتى يؤدى مهمته على أكمل وجه.

وزادت خيرات مدينة سبأ، وعظمت وربحت تجارتها.

ثم شاء الله لأهل سبأ أن يتدينوا بديانة اليهودية، ويؤمنوا برب سليمان عليه السلام إلهًا واحدًا، حين دخلت هذه الديانة فى عهد بلقيس، ونبذوا عبادة الشمس.

لكن الملوك الذين تتابعوا بعد ذلك أهملوا السد، ولم يهتموا بصيانته، وكفروا بالله، وعبدوا الأصنام، ولم يشكروا ربهم على نعمه عليهم.

فكان جزاءهم أن أرسل الله عليهم سيل العرم، بأمطاره الغزيرة، فتحطم سد مأرب، وغرقت بلاد سبأ، وتفرق شعبها، وهربوا إلى مناطق أخرى فى شبه الجزيرة العربية (تفرقوا سبأ).

أما الأحداث الأخرى، فنلخصها فيما يلى:

فقد حدث فى عهد الملكة بلقيس [1]. التى ملكت حكم سبأ، وسارت على نهج أبيها فى العناية بسد مأرب.. زادت فى ارتفاعه، واهتمت بصيانة وإعادة بناء ما تهدم منه.

فى تلك الفترة من التاريخ، كان يعيش نبى الله سليمان عليه السلام.

وقصة سليمان مع بلقيس معروفة، حين رآها هدهد سليمان مع قومها يسجدون للشمس من دون الله، وأخبر الهدهد سليمان بما رآه، فبعث إليها سليمان برسالة، ألقاها الهدهد عليها، وجمعت بلقيس رجالها تستشيرهم فيما يدعوها إليه سليمان، ترك عبادة الشمس وعبادة الله وحده.

بعثت بلقيس بهداياها إلى سليمان لترضيه، ولكنه رفضها، وأصر على أن تؤمن وشعبها بالله.

وجاءت بلقيس لزيارة سليمان فى عاصمة مملكته أورشليم، فأدهشها ما رأت.. سليمان سخر الجن والإنس والطيور، وكانت تعلم كل معجزات سليمان.

وزادت دهشة بلقيس حينما رأت عرشها الذى تركته فى سبأ، قد أحضره أحد رجال سليمان.

عند ذلك آمنت بلقيس بإله سليمان.. وتبعها شعبها، فكان هذا بداية لوصول اليهودية اليمن.

**** زمن الأحداث:**

أما القصة الأولى: وهى أحداث بناء سد مأرب ثم تصدعه.. فقد اختلف الرواة والمفسرون متى كان حكم الملك سبأ؟ ومتى بنى سد مأرب؟.

معروف أن بلقيس جاءت بعد سبأ بعدة ملوك، قد تصل مدة حكمهم إلى ١٠٠ سنة، ومعروف أن بلقيس عاصرت حكم سليمان، وأن سليمان كان من سنة ٩٨٩ق. م - سنة ٩٣١ق. م.

---

(١) هى بلقيس بنت البشرج الهدهاد بن الحارث بن قيس بن صنعاء بن سبأ.. ينتهى نسبها إلى قحطان، فهى حفيدة سبأ، هذا الملك العظيم.

يمكننا أن نقول إن بناء سد مأرب فى عصر الملك سبأ كان قبل بلقيس وسليمان بحوالى مائة عام، أى حوالى سنة ١٠٩٠ق. م.

وقياسًا على هذا يمكن أن نقول إن سبأ بنى سد مأرب خلال سنة ١٠٩٠ق. م إلى سنة ١٠٥٠ق. م.

هذا عن الأحداث التى وقعت فى الفترة الأولى.

أما أحداث الفترة الثانية فكانت من حوالى سنة ٩٥٠ق. م - ٩٤٠ق. م. خلال حكم سليمان عليه السلام.

**** موقع سبأ:**

تقع مدينة سبأ فى اليمن، بين حضرموت ونجران، وكانت عاصمتها صرواح، ثم مأرب، وهى إحدى الدول التى حكمت اليمن: معين، سبأ، حمير.

ومعروف أن سطح اليمن جبلى، تسقط أمطاره فى فصل الصيف بسبب هبوب الرياح الجنوبية الشرقية الآتية من المحيط الأطلنطى، وبعد عبورها خط الاستواء، تنحرف إلى يمين اتجاهها بسبب منطقة الضغط المنخفض فى جنوب غرب آسيا، فتسقط أمطارًا، تغزر على المرتفعات وفى الغرب، وتقل كلما اتجهنا نحو الداخل.

* * * * *

إيلـــة

القرية التى كانت حاضرة البحر وأصحاب السبت

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ٦٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [النساء: ٤٧].

﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ ﴾ [النساء: ١٥٤].

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل: ١٢٤].

**** أحداث هذا القرية :**

فى هذه القرية كان يعيش حوالى ٧٠٠٠٠ شخصًا يدينون بالديانة اليهودية التى وصلت إليهم عن طريق نبى الله موسى ﷺ حين كان يعيش وقومه فى سيناء.

معروف أن الديانة اليهودية تُحرِّم على اليهودى العمل فى يوم السبت، وأن عليه فى هذا اليوم أن يتفرغ لعبادة الله [1].

ولأن هذه القرية تقع على البحر.. على خليج العقبة، أحد ذراعى البحر الأحمر.. لذلك كانت أهم حرفة لسكانها هى صيد الأسماك، أو ما كانوا يطلقون عليه الحوت.

استمر اليهود على عهدهم لربهم أن يكون يوم السبت أجازة لا يعملون فيه، لا يصيدون سمكًا.

---

(١) من وصايا الله لبنى إسرائيل، تقديس يوم السبت. راجع الإصحاح ٢٠ من سفر الخروج، ومما يروى أن موسى أقام الحد على رجل كان يحتطب يوم السبت.

ثم خلف من بعدهم خلف، لا حظوا فى يوم السبت.. يوم أجازتهم أن الأسماك تكون كثيرة واضحة أمام عيونهم، بل إن بعضها كان يطفو فوق سطح المياه، كأنها تتحداهم، ولكنهم لا يستطيعون صيدها، تمسكًا بما أمرهم موسى به.

لكن الدهشة كانت تصيب القوم فى صباح باقى أيام الأسبوع، حين يدركون أن الأسماك تختفى، لا تظهر، تبتعد عن شباكهم، فيلتهب حقدهم على هذه الأسماك، وعلى شريعة موسى.

لذلك فكر بعض أصحاب هذه القرية أن يخرقوا تعاليم شريعة موسى.. عزَّ عليهم أن تبور تجارتهم، وأن يفقدوا موردًا هامًا من موارد معيشتهم، كان عليهم أن يحتالوا على شريعتهم.

بعضهم حفر حفرًا بجوار شاطئ البحر، وأوصلها إليه بقنوات تسمح بدخول مياه البحر إليها بما فيها من أسماك، كانوا يفعلون هذا يوم الجمعة.

فإذا كان مساء يوم الجمعة، تجمعت الأسماك فى مياه هذه الحفر، فسدوا عليها طريق العودة إلى البحر، واحتبسوها فى مياه هذه الحفر (البحيرات) التى صنعوها، وتركوها تزداد يوم السبت.

فإذا كان يوم الأحد، اصطادوا هذه الأسماك من مياه هذه البحيرات الصغيرة.

بعض آخر من أهل القرية، عمدوا إلى أقفاص، فألقوا بها فى البحر يوم الجمعة، تمتلئ بالأسماك، وتحبس فيها، فإذا كان يوم الأحد. أخرجوا هذه الأقفاص بما فيها من أسماك.

هكذا احتال أهل هذه القرية من اليهود على شريعتهم، حققوا غايتهم، لقد نسى هؤلاء أن الغاية لا تبررها الخطيئة، وأن الوسيلة لا تعطى فرصة للحرام.

اختلف أهل إيلة فى هذا الموقف.

فريق منهم هم الذين احتالوا على دينهم.. أصروا على ما فعلوا، وبرَّروه بحاجتهم،

وأنهم لم يخرقوا شريعة موسى يوم السبت.

فريق ثان نهوا هؤلاء العاصين عما فعلوا، ونصحوهم أن يعودوا إلى الصواب.

وبين هؤلاء وهؤلاء فريق ثالث سكتوا، وقالوا للفريق الناصح:

﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قالوا لهم:

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

لكن العصاة من الفريق الأول، لم يستمعوا إلى نصيحة إخوانهم، واستمروا على تحايلهم على شريعة موسى، فابتعد الآخرون عنهم.

ثلاثة أيام.. لم يخرج هؤلاء العصاة من دورهم، فلما اقتحموا عليهم أبواب دورهم، فوجئوا أنهم تحولوا إلى قردة، مسخهم الله على هيئة القرود، جزاء ما فعلوا.. كبرت آذانهم، وطالت أظافرهم، وكثفت شعورهم.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦٦].

فما مضت إلا بضعة أيام، حتى ماتوا جميعًا.

لقد كان هؤلاء مثلاً للعنة الله على الفاسقين.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧].

**** الزمن التاريخي لهذه الأحداث:**

لم يحدد القرآن الكريم زمن وقوع أحداث هذه القصة في مكانها، لكن بعض الرواة ومنهم الثعلبي في كتاب (عرائس المجالس) [١] ذكر هذه القصة خلال حديثه عن قصة نبي الله داود عليه السلام والذي كان عصره من سنة ١٠٤١ق. م إلى سنة ١٠١٠ق. م [٢].

---

(١) مجالس العرائس للثعلبي ص٣٣٣.

(٢) أطلس تاريخ الرسل والأنبياء ص ٥٤.

وفى القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحقيقة فى قولـه تعالى:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨].

وقد فسر بعض المفسرين هذه الآية: مثل الجلالين [1]، بأن هذه الآيات تشير إلى أن نبى الله داود لعن هؤلاء القوم من بنى إسرائيل أصحاب السبت لما فعلوا، كما لعن عيسى ابن مريم بنى إسرائيل، وذلك فى قولـه تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المائدة: ٦٠].

نخرج من كل هذا أن أحداث قصة أصحاب السبت وقعت حوالى سنة ١٠٠٠ق. م خلال عصر حكم نبى الله داود عليه السلام.

على أننا يجب أن نشير هنا إلى حادثة أخرى وقعت فى هذه المنطقة فى صدر الإسلام.

دخلت الديانة المسيحية مدينة إيلة بعد ذلك.

فلما خرج الرسول ﷺ فى جيش، العسرة، متجهًا إلى تبوك فى رجب سنة ٩هـ للقاء جيش الرومان.. جاء يوحنا بن رؤبة حاكم إيلة من قبل الرومان، وقدم الهدايا للرسول، وصالحه على السلام، ودفع الجزية.

وكانت هذه الرحلة بداية لدخول الإسلام إلى مدينة إيلة بعد ذلك.

موقـع إيلـة:

تقع مدينة إيلة والتى تعرف باسم إيلات شمال العقبة، على رأس خليج العقبة أحد ذراعى البحر الأحمر، وعلى الطريق بين الطور ومدين، تلتقى عندها حدود أربع دول عربية هى مصر والأردن وفلسطين والمملكة العربية السعودية

* * * * *

(١) تفسير الجلالين ص ١٣١.

نِينَوَى

وقصة يونس عليه السلام

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨].

**** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :**

كان أهل مدينة نينوى يعبدون الأصنام، جحدوا فضل الله الذى أسبغ عليهم رزقه، وأجزل لهم سعادتهم، بعث الله إليهم نبيًا هو يونس[1] عليه السلام؛ ليدعوهم إلى الرجوع إلى الله، ونبذ عبادة الأصنام، وترك الموبقات والفواحش التى كانوا يرتكبونها، لكنهم لم يستجيبوا لدعوته، واستمروا على كفرهم وفسقهم وضلالهم، ورفضوا التوبة والإنابة إلى ربهم، وأنكروا على يونس نبوَّته، وأهانوه، وانصرفوا عنه إلى عبادة أصنامهم، وقالوا له: ما نراك إلا بشرًا مثلنا.

غضب يونس من أهل نينوى، وغادر مدينتهم، واتجه إلى الشاطئ؛ ليركب سفينة تقله؛ إلى مكان بعيد عن هؤلاء الكفار، مغاضبًا عليهم لربه [2].

---

(١) يونس (يونان) بن متى (أمه)، ويقول أهل الكتاب ابن أمتاى(العهد القديم سفر يونس الإصحاح الأول) ويونس يعرف باسم(ذو النون)وصاحب الحوت، ينتهى نسبه إلى بنيامين بن يوسف عليه السلام.

(٢) يقال إن يونس كان يقصد الهرب إلى مدينة ترشيش إحدى المدن الفينيقية (لبنان). (قصص القرآن الكريم للشيخ عبد الوهاب النجار).

ركب يونس السفينة، لكن ريحًا عاصفة واجهتها، مما دفع ربّانها إلى الإعلان عن التخلص من أحد ركابها ، لتقل حمولتها، وعملوا قرعة، فوقعت على يونس؛ فألقوه فى البحر.

التقم الحوت يونس، ابتلعه فى جوفه، شاء الله ألا تمس أسنان الحوت يونس بأذى.

وما يملك يونس وهو فى بطن الحوت إلا أن يُسَبِّح ربه، يناديه:

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧].

استمر يونس فى بطن الحوت يسّبح الله، ويدعوه ثلاثة أيام، استجاب الله لدعائه، ولفظ الحوت يونس فى العراء عاريًا.. وحيدًا، وأنبت الله عليه شجرة اليقطين (القرع) تدفئه، وتدارى عورته، حتى تحسنت صحته.

مرة ثانية.. بعث الله يونس إلى قوم نينوى، يدعوهم إلى عبادة الله، وأنذرهم إذا لم يؤمنوا خلال أربعين يومًا، سينالهم من الله العذاب الشديد.

اهتدى أهل نينوى، وأنابوا إلى ربهم، خوفًا من عقاب الله لهم، آمنوا بالله، وتضرّعوا إلى الله أن يعفو عنهم ويسامحهم.. حتى ملكهم كان من التائبين، وصاموا [1] ثلاثة أيام، إعلانًا عن إيمانهم، ورجوعهم إلى الحق.

لذلك شاء الله أن يعفو عنهم، ومتعهم بالحياة والأمن والسعادة.

كان ذلك بفضل هداية الله لأهل هذه القرية نينوى التى نفعها إيمان أهلها.

**** زمن هذه الأحداث:**

كانت حياة يونس عليه السلام من سنة ٨٢٠ق. م - ٧٥٠ق. م [2].

---

(١) يعرف هذا الصيام بصوم نينوى، أو صوم يونس، يدوم ثلاثة أيام، ينقطع الصائم فيه تمامًا عن الأكل والشراب، ويتفرغ للعبادة، وهو مناسبة لرحمة الله لأهل نينوى بعد إنذار نبى الله يونان لهم. (المنجد ص٥٤٦).

(٢) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص٥٥.

وكانت بعثته سنة ٧٨٠ق.م.

أى أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ٧٧٠ق. م.

**** موقع مكان هذه الأحداث:**

مدينة نينوى: إحدى مدن العراق القديمة، تقع شرق نهر دجلة، كانت ذات يوم عاصمة الدولة الأشورية القديمة، تقع بالقرب من الموصل (وبالموصل مسجد باسم النبى يونس).

وهى تقترب من نهر الزاب الأسفل، أحد روافد نهر دجلة الذى يفيض ماؤه فى فصل الربيع بسبب ذوبان الجليد الذى تكون على الجبال الواقعة شرق العراق والتى هى امتداد لجبال زاجروس.

* * * * *

obeikandl.com